العرب
الأربعاء 2020/03/11
السنة 42 العدد 11643

رواية عجائبية تبحث شخصياتها عن البحر الذي اختفى

«بلاد تركب العنكبوت» رواية تبث علامات عن نهاية العالم

تتبع الكاتبة المصرية منى سلامة في روايتها الجديدة "بلاد تركب العنكبوت" أسلوب الواقعية السحرية الذي برع فيه كتاب أميركا اللاتينية ولعل أهمهم غابرييل غارسيا ماركيز، حيث تتجه الكاتبة إلى المناطق العشوائية لتخرج لنا بعالم سردي خارج عن المألوف.

شخصيات وعوالم غرائبية (لوحة للفنان سنان حسين)

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

تذكرك رواية "بلاد تركب العنكبوت" للكاتبة المصرية منى سلامة، بالكثير مما قرأته أو عرفته عن سكان العشوائيات في مصر، حيث تعبر في سردها عن رؤية شاملة لأنماط الحياة في هذه البيئة، فجاء المتن يحكي عن حياة مختلفة عما هو مألوف من حياة الناس في مراكز المدن. فهؤلاء لهم لغة خاصة بهم، وأعراف وعلاقات اجتماعية، ومعتقدات وأخلاق مختلفة، وحتى أن مستويات التخيل لديهم تختلف عن غيرهم. واتسم بناء مفاصل الرواية بوقائع خياليّة، وأحيانا خارقة، واتبعت الكاتبة أساليب وتقنيات الرواية الواقعية السحرية في مزجها السياسي بالواقعي، والحاضر المعاش بالأسطوري والتاريخي.

> الرواية كتابة سردية متخيلة اعتمدت على تداعيات تيار الوعي، والتفاعل والحوار مع الذات والتناص مع الأفكار

جاءت سرود الرواية، التي صدرت عن دار عصير الكتب بالقاهرة مؤخراً، بشذرات لبعض الوقائع العجيبة لولي الحارة ـ غريب الأطوار ـ الشيخ "جو"، وما ذكره للشخصية الرئيسية في الرواية "أسمر" من حوادث عن علامات نهاية العالم، وما سيقع له أو في الحارة، ووقعت بالفعل.

إنفلونزا الضمير

تبدأ الرواية بالكاتب الكبير الحائر بين الكتابة والتأمل في فاجعة كونيّة حدثت في مصر، هي "اختفاء البحر الأبيض المتوسط"، وقد كان مترددا، وهو يهمُّ باختيار عبارات مقاله حول عواقب ذلك الحدث الكونيّ. البحر لم يبقَ منه سوى قاع صفصف وصخور زلقة، وما ترسَّب في الأعماق من هياكل سفن وبقايا صدئة مما كان يُلقى في البحر. تسرد الرواية وقائع حياة وموت الكاتب الكبير، الذي حلم، وخطط لكتابة رواية تقتل قارئها، متتبعاً بذلك تجربة روائي آخر سبقه يدعى "رامي قشوع" مؤلف "الرواية التي قتلت قارئها". رامي قشوع، الذي كانت نهايته مأساوية انتهت به إلى الحجز وهو بعمر الثانية والسبعين بأحد نوادي الأمراض النفسية والعقلية بتهمة قتل زوجته.

وقد وردت تفاصيل موت الكاتب الكبير واختفاء جثته من مستودع الجثث في سرد مواز لحياة الشخصية الرئيسية لرواية سائق التاكسي "أسمر" الذي يعيش مديونا لصاحب السكن الذي يعيش فيه بأحدى العشوائيات. ويقضي أسمر وقت استراحته بعد فترة عمله في مقهى العطاسين بالحارة، ليتفادى اللقاء بمدينه "شلبي" صاحب الشقة.

"أسمر" لم يكن بارعا في اكتساب الصداقات، وبدا لنفسه وكأن الناس لا تراه. يقول أسمر عن حاله "أمرُّ بجوارهم في الطرقات، وأجلس بجوارهم في مقاعد الدراسة ومدرجات الجامعة وفي المقهى، لكنهم لا يروني، لا يسمعوني، كهواء يمر بجوار وجوههم، فلا هو بارد يقرص ولا حار يلسع".

كان "أسمر" مصوراً فوتوغرافيا موهوباً، وله معرض دائم أقامه في سكنه عرض فيه ما يلتقطه من صور، لكنه يعيش حياة روتينية وفي فقر شديد، وغربة مريرة وإحساس كريه يشعره بالعبثيّة والدونيّة.

كما أن هواجسه بمطاردة له من قبل سلطات الدولة لا تفارقه، فهو يخاف من أن يتم تشخيص وضعه كمصاب بالمرض الغريب "إنفلونزا الضمير" الذي يصيب الناس. فلجان المرور تقطع الشوارع وتتفحص كل مار أو سائق، وكل من يقلُّه تاكسي. وكل من تجده مصابا بالفايروس يحجر عليه فورا، وتُجرى له عملية جراحية معقدة يتم خلالها وضع صمام لضميره، لمنع الفايروس من الانتشار، وعدوى الآخرين، والتسبب في تدهور الوضع النفسي والاجتماعي للسكان.

استعارت الكاتبة أحداثاً من بناءات متخيلة وجعلتها هيكلاً للرواية، كعلامات لنهاية العالم، منها اختفاء البحر البيض المتوسط، والبحر الأحمر، وانتشار فايروس الضمير، الذي يتسبب بإنفلونزا الضمير. المرض الذي يتطلب إجراء عملية فورية لزرع صمام للضمير، واختفاء جثث الميتين عقب وفاتهم مباشرة، ونسيان أسماء من ماتوا، وإنكار جميع الوقائع التي عاشوها.

الصورة الفريدة

"أسمر" يُكلف من قبل "شاهق" ضابط البوليس المشرف على العشوائيّة، التي يعيش فيها أسمر بمهمة التقاط صورة للكاتب الكبير، ويغريه بمال كثير إن نجح بالتقاط صورة له، وهو في عزلته.

وتشاء المصادفات أن الكاتب الكبير كان يكتب في غرفة مكتبه في الطابق الأعلى المطلة على حديقة المنزل، فيستفزه صوت قفزة "أسمر" من فوق سور حديقة منزله. مما جعله يطلُّ من النافذة، وهو يحاول الاتّصال بالشرطة لإبلاغها بأنّ ثمة لصا في حديقة منزله.

لسوء الحظ فقد الكاتب الكبير توازنه وسقط من النافذة إلى الأرض ولقي مصرعه فوراً، فصوّر أسمر صورة الكاتب الكبير ميتاً فوق عشب الحديقة. واعتبر أسمر الصورة التي التقطها للكاتب الكبير الميت، هي مفتاح السعد المادي لوضعه المتأزم منذ فترة طويلة، حتى أنه وعد "شلبي" صاحب الشقة بأنه سيسدد كافة الديون المتأخرة عليه حالما يتم له بيع هذه الصورة الفريدة التي ستوزع على وكالات الأنباء والجرائد.

كان أسمر مُراقباً من شخص ما، وعندما انشغل بتصوير الجثة ضربه شخص ما من الخلف بعقب مسدس على رأسه، فسقط فاقداً الوعي، ولم يفق إلا وهو في المستشفى تطارده تهمة قتل الكاتب الكبير.

حاول أسمر بكل السبل إبعاد التهمة عنه، مرة بالتوسل بولي الحارة الشيخ "جو" ومرة بضابط الشرطة "شاهق" لكنه يبقى في قرارة نفسه أنه المذنب الوحيد لتسببه في مقتل الرجل. معاناة مستمرة من تأنيب الضمير، والتفكير من أنه هو من قتل الكاتب الكبير، أو على الأقل تسبب في مقتله.

استحضار الكاتبة لحياة أسمر وعذاباته كإنسان محدود التعليم والثقافة لم يكن موضوعيا وحياديا بل جاء من خلال رؤية الساردة السياسية والفلسفية والاجتماعية، فقد حملت الشخصية حمولات فكرية وذهنية تفوق قدراتها الواقعية.

كما أن شخصيات كـ"حصان طروادة"، مولانا الشيخ "جو"، الطبيبة خيال، الكاتب الكبير، شاهق ضابط الشرطة، رامي قشوع، جميعها شخصيات ذهنية أكثر مما هي شخصيات واقعية يمكن الحكم عليها في الرواية. ومعظم الشخصيات كانت مجرد أصوات تظهر وتختفي وقتما يحتاج لها السارد، ليهملها حين لا يكون بحاجة إليها، وهي بالتالي غير مقنعة ولا تنال التعاطف وتبقى مجرد رموز وفزاعات في ذهن أسمر المشوش، الذي تسببت الضربة التي نالها على رأسه بمرض ذُهان، ونسيان مستمر لما عاشه من أحداث.

رواية "بلاد تركب العنكبوت" تعتبر من فنون الكتابة السردية المتخيلة تأسَّست على تداعيات تيار الوعي، والتفاعل والحوار مع الذات والتناص مع الأفكار. وانفتحت في شمولية على مشاكل ومعاناة الفرد البسيط في مجتمع متخلف يلهث أفراده على المغانم من دون راحة بال. وقد أعادت الكاتبة من خلال السرد تشكيل الكثير من الكوابيس التي يمر بها المصابون بالذُهان، وجسدتها كوقائع حقيقية، وأعطتها تأويلاً سياسياً وفلسفياً في معانيها ودلالاتها.

جامعة بيرزيت الفلسطينية تنجز أضخم قاعدة بيانات للغة العربية

فرضت الشبكة العنكبوتية تحديات كبيرة على جميع مناحي الحياة، ومنها تطوير آليات جديدة لتعامل اللغات معها بما يسهل استخدامها، ويكرس اللغة الأم مرجعا للقرّاء والباحثين والكتّاب. وهو ما تبدو اللغة العربية متأخرة فيه، ومن الضروري الالتفات إليه بمشاريع جريئة وطموحة.

عواد علي
كاتب عراقي

أكد العديد من اللغويين العرب، منذ سنوات، حاجة اللغة العربية إلى الحوسبة عبر مشروعات ضخمة ومظلات كبيرة تطورها، وتعيد لها مكانتها من جديد، فهي، مقارنةً باللغات الأخرى، غير مخدومة حاسوبيا، ولا تزال المادة العربية في قواعد البيانات والقواعد الحاسوبية ضعيفة.

وحول هذا الموضوع الحيوي استضاف منتدى عبدالحميد شومان الثقافي في عمّان، يوم 9 مارس الجاري، الدكتور مصطفى جرار، أستاذ الذكاء الاصطناعي وحوسبة اللغة في جامعة بيرزيت الفلسطينية، لتقديم محاضرة بعنوان "تجربة بناء أضخم قاعدة بيانات لغوية في تاريخ اللغة العربية". بيّن جرار في محاضرته، التي أدارها أمين عام مجمع اللغة العربية الأردني الدكتور محمد السعودي، أن حوسبة اللغة العربية بات أمرا ضروريا، ودعا إلى ضخ المزيد من النتاجات المعرفية والعقلية والفكرية والعلمية المتعلقة باللغة العربية في الحاسوب لتوفير فضاء معرفي حقيقي متاح للجميع، واستعرض الجهود المبذولة في جامعة بيرزيت من أجل حوسبة اللغة العربية، وإثراء محتواها الرقمي عبر شبكة الإنترنت.

وحسب جرار، فإن الجامعة تستخدم محركات "البحث المعجمي"، و"الأنطولوجيا العربية"، و"كراس للهجة العامية الفلسطينية"، وهي متاحة جميعها لاستخدام الباحثين والجمهور مجانا عبر موقع الجامعة الإلكتروني.

> أضخم قاعدة بيانات لغوية في تاريخ العربية تمثل شبكة شاملة تحتوي على كل المستويات المرتبطة باللغة

وأوضح جرار أن "محرك البحث المعجمي" لجامعة بيرزيت الأول من نوعه في العالم، ليس فقط على مستوى اللغة العربية، بل على مستوى جميع اللغات المستخدمة عبر شبكة الإنترنت، حيث تتضمن قاعدة بيانات المحرك حوسبة 150 معجما عربيا مختلفا، سواء المعاجم اللغوية العامّة التراثية والحديثة، أو المعاجم العلمية المتخصصة في مختلف مجالات العلوم التطبيقية والإنسانية. ويوفر المحرك ترجمة دقيقة بالعربية للمصطلحات والألفاظ الأجنبية، وبما يتجاوز الأخطاء والمغالطات الكثيرة التي تعتري ترجمات محركات البحث شائعة الاستخدام مثل محرّك "مترجم غوغل"، حيث تعتمد المحركات على غراره ما يسمى "الترجمة الإحصائية" لمعاني المفردات والكلمات، وليس الترجمة "المعجمية" المنضبطة، كما في محرك جامعة بيرزيت.

وسلّط جرار، الفائز بجائزة عبدالحميد شومان للباحثين العرب لدورة العام 2019، حقل العلوم التكنولوجية والزراعية (حوسبة اللغة العربية)، الضوء على منهجيات جديدة لتوصيف اللغة العربية من أجل النهوض بها لمواكبة عصر المعرفة والذكاء الاصطناعي.

واستعرض، أيضا، أضخم قاعدة بيانات لغوية في تاريخ اللغة العربية، وهي شبكة لغوية شاملة تحتوي على جميع المستويات التصريفية، والاشتقاقية والدلالية والأنطولوجيا، والعامية، بشكل مترابط، إضافة لربطها بشبكات لغوية أجنبية.

ولفت جرار إلى أن زيادة الاهتمام بالمصادر اللغوية كمعاجم (مكانز، مسارد، وأنطولوجيات) تأتي بهدف بناء تطبيقات حاسوبية مثل الترجمة الآلية، استرجاع البيانات بأكثر من لغة، فهم وتحليل النصوص المكتوبة والمنطوقة، والتحدث مع الآلة. إلا أن عدم دعم التطبيقات الحديثة للغة العربية، يعود إلى شح المصادر اللغوية العربية المحوسبة، إذ لا توجد قائمة بجميع المدخلات العربية، كما لا توجد مصادر لغوية حديثة.

وأوضح المحاضر أن جامعة بيرزيت أسهمت في جمع المصادر اللغوية ورقمنتها وتنقيحها ودمجها وتوحيدها، وإتاحتها للجمهور العربي والباحثين ومتعلمي اللغة العربية، ومطوري التطبيقات عبر واجهات برمجية (APIs).

وبشأن محرك "الأنطولوجيا العربية" بيّن جرار أنه يهدف إلى ضبط فوضى التعريفات والدلالات والمفاهيم في اللغة العربية، والتي تعتري حتى النقاشات العلمية والأكاديمية المتخصصة، فيما يستعير المحرك ذاته مفهوم "الأنطولوجيا" من الفلسفة، والذي يعني "علم الوجود"، أو علم "ماهية الأشياء"، كما تشير إليه المصادر التراثية العربية. لكن محرك "كراس"، يأتي استجابة لحقيقة واقعية مفادها أن نسبة كبيرة من المحتوى العربي عبر شبكة الإنترنت مكتوب باللهجات العامية، وعدم قدرة محركات البحث وأجهزة الحاسوب على التعرّف على هذه اللهجات.

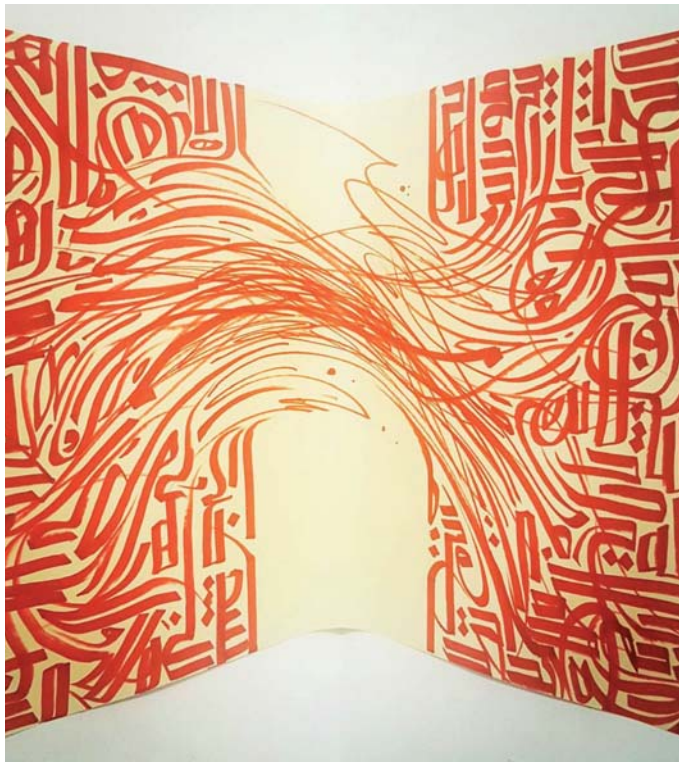

العربية تدخل عصرا جديدا (لوحة للفنان ساسان نصرانيا)

وتابع جرار قائلا إن قاعدة البيانات المعجمية هي أضخم قاعدة بيانات للغة العربية ومتعددة اللغات تحتوي على أنواع كثيرة من المصادر اللغوية، مثل معاجم لغوية، ومعاجم ثنائية/ ثلاثية اللغة، وقواعد بيانات تصريفية، ومسارد، ومكانز، وفروق لغوية، والأنطولوجيا العربية، وغيرها، في حين تغطي مجالات عديدة كالعلوم والهندسة والصحة والطب والفلسفة والإنسانيات والفنون.

من جهته، أكد الدكتور محمد السعودي أهمية حوسبة اللغة العربية من خلال مشروعات ضخمة تعيد لها مكانها من جديد عبر حوسبتها، وإيجاد مرجعية متخصصة لمأسسة آليات عمل مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ومراقبتها. واعتبر أن المحاضرة قدمت لمحة عامة ومهمة عن توجهات علمية جديدة في تعريف وتوصيف دلالة الكلمة، وهي ما يعرف بالأنطولوجيا اللغوية والتي تُعد البنية التحتية الأساسية لبناء تطبيقات ذكية في المستقبل.